بعد الأصيل[1]

للدكتور نقولا فياض

عنوان ديوان صدر حديثًا للدكتور الشاعر نقولا فياض، والدكتور قال شعرًا جيدًا جدًّا وهو مهرول للحاق بالتسعين بعدما دعس رقبة الثمانين، فأين زهير الذي سئم تكاليف الحياة؟ وأين الشاعر الآخر الذي نفض طوقه من الشعر والشعراء لأنه جاوز حد الأربعين؟ حقًّا إن العبقرية شمس لا أصيل لها ولا ضحى.

إن القلب الذي قلت فيه وأنت شاب: حير الناس فقالوا عصبي؛ ليحيرنا حقًّا، فما أفضى بالك! إن من يقرأ قصيدتك في المرضة التي افتتحتَ بها معرضك الفني الصغير لا ينكر عليك فيها القول:

قالوا كبرت وما دروا بالصالحات الباقيات
الثلج في رأسي وفي صدري اتقاد النيرات
أفتسمحين بقبلة تروي الشفاه الظامئات؟

[1] كتبت ونشرت قبل وفاة الشاعر.

نعذرك إذا استجديت قبلة من ذلك الذي قلت فيه:

الثغر برعم وردة متحفز للانفلات

فلعلك نسيت قول زميلك: ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا.

آه يا دكتوري، إن هذه القصيدة تغني عن عشرة دواوين. حقًّا إن نفسك ما زالت خضراء وإن ذبل الرمح الرديني. اقصد قامتك لا غير. أأنت في «بعد الأصيل» وتقول هذا الشعر الذي ينضح فنًّا وماوية وحبًّا؟ وهل من هو في الأصيل يقول شعرًا كهذا وهو مشقوق البطن في المصحِّ، والعملية في ذلك الموضع؟ ما أفضى بالك!

إني أهنئك بهذا الديوان الصغير الكبير، فلا بطء فيه إلا في المدحيات، والعذر واضح. قال شاعر قبلك في الأُصُل وكأنه يعنيك:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

ففي أصيلك ذهب وألماس حبوتَ بهما الناس، كما أنك لم تحرم اللواتي يغرهن الثناء من النحاس.

أما هاتيك التي قلت لها:

تقولين والسهد ملء الجفون لقد طال نومك يا شاعري
تريدين شعري فجودي بما يطيب به الجود للشاعر

فعسى أن تكون فهمتْ ولم تخرج بالصمتْ عن لا ونعم كصاحبة بشار.

إن بين الأصيل والغروب لفسحة لا بأس بها، وأنت قلت للمرضة قبل أن تستأذن وتستميح:

والوحي إلفُ يراعتي ما دام لي قلب يؤاتي

فهات يدك وأرنا البقية الباقية في الزاوية.

عافاك الله، يا أمير المنابر، ودامت لك هذه الهمة.